القسم الأول

حياة البيضاوي الشخصية

هو الإمام عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، البيضاوي، أبو سعيد ، القاضي ، المفتي ، العالم بالفقه وأصول الفقه ، والتفسير وأصول الدين، والحديث والمنطق ، والعربية والتاريخ.

ولد بالبيضاء ، وتولى القضاء بشيراز ، ثم عزل فارتحل إلى تبريز لنشر العلوم والمعارف ، ومات سنة ٦٨٥هـ ، ودفن بتبريز.

هذه هوية القاضي البيضاوي بالاختصار على القول الراجح ، أما التفاصيل فقد اتفق علماء التراجم والتاريخ على معظمها ، واختلفوا في بعضها ، وهاكم البيان:

اسمه ونسبه:

اسمه عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ، باتفاق المصادر ، أما نسبه فهو البيضاوي ، الشيرازي ، الفارسي.

والفارسي نسبة إلى بلاد فارس التي ولد فيها ، ونشأ في ربوعها ، وتربى في أحضانها ، وتعلم لغتها ، وكتب فيها ، وألف بعض كتبه باللغة الفارسية ، ويعتبر من أعلام الأدب الفارسي[1].

---

(١) انظر: تاريخ الأدب الفارسي ، زاده شفق ص ١٩٨ عن معجم المؤلفين ٦/ ٩٧ ، التعريف بالمؤرخين ١/ ١١٦.

والشيرازي نسبة إلى شيراز ، وهي بلدة عظيمة مشهورة في وسط بلاد فارس، ونسب البيضاوي إليها ، لأنه البيضاء تابعة لها ، ولأنه تولى قضاء شيراز مدة[١] .

والبيضاوي نسبة إلى بلدة البيضاء من بلاد فارس، وهي مدينة مشهورة من أعمال شيراز ، وأكبر مدينة بإصطخر ، وينتسب إليها جماعة كثيرة من العلماء[٢] ، وهذه النسبة للبيضاوي أشهر النسب ، وبها يعرف ، ويعرف أيضاً بالقاضي.

كنيتــه ولقبــه:

اختلفت المصادر في كنية البيضاوي ، فذهب فريق إلى أن كنيته أبو الخير[٣] ، وذهب فريق آخر إلى أن كنيته أبو سعيد[٤] ، وجمع فريق ثالث بين الكنيتين ، فقال: أبو الخير أو أبو سعيد ، أو أبو الخير أو أبو سعيد[٥] ، والغالب أن كنيته الحقيقية أبو سعيد ، وأن أبا الخير أطلق عليه لقباً للمدح والثناء ، وهو عادة السلف من العلماء في العصر العباسي وما بعده.

أما لقبه فهو ناصر الدين باتفاق المصادر ، وذكرت بعض المصادر لقباً

---

(١) انظر: مراصد الاطلاع ٢/ ٨٢٤ ، مفتاح السعادة ٢/ ١٠٣.

(٢) انظر: الأنساب ، للسمعاني ٢/ ٣٦٨ ، مراصد الاطلاع ١/ ٢٤٢.

(٣) انظر: بغية الوعاة ، للسيوطي ١/ ٥٠ ، نزهة الجليس ٢/ ٨٧ ، شذرات الذهب ٥/ ٣٩٢ ، روضات الجنات ص ٤٥٤ ، الفتح المبين ٢/ ٨٨ ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ١٥٧ ، مفتاح السعادة ٢/ ١٠٣ ، معجم المؤلفين ٦/ ٩٧ ، كشف الظنون ١/ ١٦٢ ، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٤٣.

(٤) انظر : هدية العارفين ١/ ٤٦٣ ، معجم المؤلفين ٦/ ٩٧ ، كشف الظنون ١/ ١٦٢.

(٥) انظر: الأعلام للزركلي ٤/ ٢٤٨ ، نهاية السول ١/ ج ، حاشية الخفاجي ١/ ٤.

آخر لـه وهو قاضي القضـاة[1] ، وهذا منصب جليـل ، له دلالـة معينـة ، ويظهر أنه لقب به للتعظيم فقط .

ولادتــه ونـشـأتــه :

ولد البيضاوي في البيضاء باتفاق ، ولم يذكر مرجع واحد تاريخ ولادته ، كما أغفلت جميع المصادر سنَّه عند الوفاة ، مما يستحيل علينا تقدير ولادته ، ويظهر أنه نشأ في البيضاء وتربى فيها على يد والده ، وبدأ التعلم وتحصيل الفقه وغيره في البيضاء ، وقد اقتصرت كتب التراجم على أن تفقه بوالده ، وهو ما صرح به القاضي البيضاوي نفسه ، فقال اليافعي : «تفقه بأبيه ، وتفقه والده بالعلامة مجير الدين محمود بن المبارك البغدادي ، الشافعي ، وتفقه مجير الدين بالإمام زين الدين حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رحمهم الله تعالى»[2] .

ولم تذكر كتب التراجم والرجال التي بين أيدينا ترجمة والده أو جدّه ، إلا ما جاء ضمناً عن اسمه ، وهو عمر بن محمد بن علي ، وذكر البيضاوي كنية والده بأنه «أبو القاسم» ، ونقل البيضاوي آراء فقهية عن والده ، فقال: «وقد نقل النكير عن بعض الأئمة للسجود بلا سبب ، واختار شيخي ووالدي رحمه الله جوازه»[3] .

مكـانـة الـبيضـاوي :

احتل البيضاوي مكانة رفيعة في بلده ووطنه ، وتبوأ مركزاً مرموقاً في المجتمع ، واتفقت كتب التراجم والتاريخ على أوصافه العامة ، بأنه كان

---

(١) انظر: شذرات الذهب ٥/ ٣٩٢ ، مرآة الجنان ٤/ ٢٢٠ ، بغية الوعاة ١/ ٥٠ ، مفتاح السعادة ٢/ ١٠٤ ، طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٥٨ ، روضات الجنات ص ٤٥٤ ، نزهة الجليس ٧/ ٨٧ .

(٢) مرآة الجنان ٤/ ٢٢٠ .

(٣) انظر: الغاية القصوى ، للبيضاوي ١/ ١٨٤ ، ٣٠٩ .

قاضياً ، ورعاً ، صالحاً ، تقيّاً ، مفتياً ، شديداً في الحق ، عالماً ، علامة ، زاهداً ، عادلاً .

قال ابن كثير: «هو القاضي الإمام العلامة ، ناصر الدين ، عبد الله بن عمر الشيرازي، قاضيها، وعالمها، وعالم أذربيجان وتلك النواحي»[١] .

وقال ابن السبكي: «كان إماماً مبرزاً ، نظاراً ، صالحاً ، متعبداً ، زاهداً»[٢] .

وقال الخوانساري: «كان إماماً علامة عارفاً بالفقه والتفسير والأصولين والعربية والمنطق ، نظاراً ، صالحاً ، متعبداً ، شافعياً»[٣] .

وقال الحسيني الموسوي: «تولى قضاء القضاة بفارس ، وكان زاهداً ، عابداً ، متورعاً»[٤] .

وقال الأسنوي: «كان المذكور عالماً بعلوم كثيرة ، صالحاً ، خيراً»[٥] .

وقال الداودي: «كان إماماً ، علامة ، عارفاً بالفقه والتفسير والأصولين ، والعربية ، والمنطق ، نظاراً ، صالحاً ، متعبداً ، زاهداً ، شافعياً»[٦] .

وقال الصفدي: «الشيخ الإمام العلامة المحقق المدقق ناصر الدين الشيرازي البيضاوي ، صاحب التصانيف البديعة المشهورة. . .»[٧] .

---

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٣٠٩ .
(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٥٧ .
(٣) روضات الجنات ص ٤٣٤ .
(٤) نزهة الجليس ٢/ ٨٧ .
(٥) طبقات الشافعية ، للإسنوي ١/ ٢٨٣ .
(٦) طبقات المفسرين ١/ ٢٤٢ .
(٧) الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٧٩ .

تـوليـه الـقضـاء:

القضاء منصب جليل ، ومركز مرموق ، به تُحفظ الحقوق ، وتُحقن الدماء ، وتصان الأعراض ، وتزال الخصومات ، ويُطبق الشرع ، ويُقام العدل ، وتنفذ الأحكام الشرعية كما يريدها رب العزة ، ولذلك تولاه رسـول الله ﷺ ، وعيـن بعـض الصحـابـة قضـاة فـي مختلـف المـدن والأمصار ، وتولاه الخلفاء الراشدون ، وكبار الأئمة والعلماء ، تقرباً إلى الله تعالى ، وحباً في مرضاته ، وحرصاً على تنفيذ أوامره ، وروى البيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لأن أجلس قاضياً بين الناس بحقٍّ واجب أحبُّ إليَّ من عبادة سبعين سنة»[1] ، ولما ورد في القضاء بالحق مـن التـرغيـب والحـث عليـه ، منهـا مـا رواه عبـد الله بـن عمـرو أن رسول الله ﷺ قال: «إن المقسطين على منابر من نور على يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذي يعدلون في حكمهم وأهلهم ، وما وُلُّوا»[2] وصان القضاة المسلمون هذا المنصب ، وقاموا به حق القيام في معظم الأحيان ، حتى صار قضاة الإسلام مضرب المثل في النزاهة والعدل ، وصارت ولاية القضاء غالباً منقبة ومدحاً وثناءً وفخراً.

وقد أجمعت كتب الرجال التي ترجمت للإمام البيضاوي بنعته بالقاضي حتى اشتهر بذلك ، وأنه تولى القضاء بولايته في شيراز ، وبيَّنت بعض هذه الكتب تفاصيل تعينيه للقضاء ، وأن البيضاوي رحمه الله تعالى طلب القضاء ، وسعى إلى تبريز للحصول عليه في عهد الأتابك أبي بكر ابن سعد ، المتوفى سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م ، ثم اختلف المؤرخون في الوسيلة التي وصل إليها البيضاوي إلى القضاء على روايتين:

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٨٩/١٠.

(٢) رواه مسلم والنسائي وأحمد والبيهقي والحاكم.

الرواية الأولى: ذكرها أكثرهم بألفاظ متقاربة ، أحسنها ما سطره ابن السبكي فقال: «ودخل تِبْريز ، وناظر بها ، وصادف دخوله إليها مجلس درس قد عُقِد بها لبعض الفضلاء ، فجلس القاضي ناصر الدين في أُخْريات القوم ، بحيث لم يعلم به أحد فذكر المدرس نكتةً ، زعم أن أحداً من الحاضرين لا يقدر على جوابها ، وطلب من القوم حلَّها ، والجواب عنها ، فإن لم يقدروا فالحل فقط ، فإن لم يقدروا فإعادتها ، فلما انتهى من ذكرها شرع القاضي ناصر الدين في الجواب ، فقال له: لا أسمع حتى أعلم أنك فهمتها ، فخيَّره بين إعادتها بلفظها أو معناها ، فبُهت المدرس ، وقال: أعدها بلفظها ، فأعادها ثم حلَّها ، وبين أن في تركيبه إياها خَلَلاً ، ثم أجاب عنها ، وقابلها في الحال بمثلها ، ودعا المدرس إلى حلها ، فتعذر عليه ذلك ، فأقامه الوزير من مجلسه ، وأدناه إلى جانبه ، وسأله من أنت؟ فأخبره أنه البيضاوي ، وأنه جاء في طلب القضاء بشيراز ، فأكرمه ، وخلع عليه في يومه ، وردَّه ، وقد قضى حاجته»[1].

الرواية الثانية انفرد بها الخوانساري ، وأن البيضاوي رحمه الله توصل إلى القضاء عن طريق كتابه العظيم في تفسير القرآن الكريم المسمى: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» ، فقال: «وقد صار هذا الكتاب منتشراً في العالم ، وسبب تقربه عند سلطان العصر ، واختصاصه بمنصب قضاء القضاة ، وذلك أنه بعث إليه بكتاب تفسيره المذكور ، فاستحسنه منه ، وأشار إليه أن يطلب من الحضرة السلطانية بإزاء هذا العمل السديد ، فقال أريد قضاء البيضاء لكي أترفع به بين أهل دياري الذين كانوا

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٨/١٥٨ ، وانظر: طبقات المفسرين للداودي ١/٢٤٣ ، نزهة الجليس ٢/٨٧ ، مفتاح السعادة ٢/١٠٤ ، دائرة المعارف الإسلامية ٤/٤١٨ ، التعريف بالمؤرخين ص ١١٦.

ينظرون إليَّ بعين التحقير»[1] ، ثم أضاف الخوانساري فقال: «وقيل إنه قد استند في إنجاح هذا المقصد بذيل همة العارف الأوحد خواجه محمد الكنجاني»[2].

وطلب القضاء جائز باتفاق العلماء ، ولكن ذهب الجمهور إلى كراهية الطلب ، لما فيه من شبهة ، أو اتهام للطالب أن يكون ذلك لحظ نفسه أو لغرض شخصي ، أو هدف محرم ، وقال بعض الفقهاء: يجوز طلب القضاء من الصالح له ، لقوله تعالى على لسان يوسف: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥] ، وهناك حالات يجوز فيها طلب القضاء عند بعض الفقهاء ، منها: إذا تعين القضاء على شخص واحد ، ولا يوجد غيره ، صالحاً له ، ومنها طلب القضاء لأجل الرزق من بيت المال ، ومنها طلب القضاء لنشر العلم ، كما إذا كان الطالب رجلاً عالماً ، ولكنه غير مشهور ، ولا معروف ، ويريد أن يشتهر علمه ، ويستفيد الناس منه ، فيجوز له ذلك[3].

فطلب البيضاوي للقضاء لا غبار عليه ، وقد يكون حرصه عليه وسعيه وراءه ، لما يعرف من نفسه من القدرة عليه ، وأنه صالح له ، أو أنه الأصلح والأفضل والأقدر للقيام بهذه المهمة الخطيرة ، وإذا صحت رواية الخوانساري من تحديد رغبته في القضاء «لكي أترفع به بين أهل دياري الذين كانوا ينظرون إليَّ بعين التحقير» فإنها تتفق مع الحالة الأخيرة التي نص الفقهاء على جواز طلب القضاء من أجل نشر العلم ، وأن

---

(١) روضات الجنات ص ٤٥٤.

(٢) المرجع السابق ص ٤٥٥ ، وسماه حاجي خليفة: الشيخ محمد بن محمد الكتحتائي. (كشف الظنون ١/ ١٦٢).

(٣) انظر: أدب القضاء لابن أبي الدم ٣٥ ، ٣٨ ، ٤١ ، التنظيم القضائي في الفقه الإسلامي ص ٥١.

الطالب غير مشهور ولا معروف ، ويريد أن يشتهر علمه ، ويستفيد الناس منه» وهذا ما حصل مع البيضاوي رحمه الله تعالى.

عـزل الـبيضـاوي عـن الـقضـاء:

لم يستمر القاضي البيضاوي على منصة القضاء كثيراً ، واتفقت كتب التراجم على أنه عين على القضاء مدة ، ثم عزل ، ولم تصرح بالكيفية ، لكن وردت بعض الإشارة إلى السبب.

وأفاد العلامة ابن السبكي أن البيضاوي تولى قضاء القضاة في شيراز لمدة ستة أشهر فقط ، وذلك عند ترجمته لقاضي القضاة مجد الدين إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل ، أبي إبراهيم التميمي الشافعي الشيرازي البالي ، قال: «وولي قضاء القضاة بفارس ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، وعزل بعد مدة بالقاضي ناصر الدين البيضاوي ، ثم أعيد بعد ستة أشهر ، وعزل القاضي ناصر الدين ، واستمر مجد الدين على القضاء خمساً وسبعين سنة ، وكان مشهوراً بالدين والخير والمكارم ، وحفظِ القرآن وكثرة التلاوة»[1].

وذكر المراغي أن القاضي البيضاوي «صرف عن القضاء لشدته في الحق»[2] ، وقال ابن العماد: «ولي أمر القضاء بشيراز ، وقابل الأحكام الشرعية بالاحترام والاحتراز»[3].

وتفيد هذه النصوص أن القاضي البيضاوي عزل عزلاً عن القضاء ، بينما تشير نصوص عبارات أخرى إلى أن البيضاوي ندم على طلب القضاء بعد أن ذكره شيخه بعواقبه ، وحذره من مغبته ، فقال حاجي خليفة:

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٩/ ٤٠١ وما بعدها.
(٢) الفتح المبين ٢/ ٨٨.
(٣) شذرات الذهب ٥/ ٣٩٢.

«وقيل: إنه طال مدة ملازمته ، فاستشفع من الشيخ محمد بن محمد الكتحتائي ، فلما أتاه (أي إلى السلطان) على عادته ، قال: إنَّ هذا الرجل عالم فاضل ، يريد الاشتراك مع الأمير في السعير ، يعني أنه يطلب منكم مقدار سجادة في النار ، وهي مجلس الحكم ، فتأثر الإمام البيضاوي من كلامه ، وترك المناصب الدنيوية ، ولازم الشيخ (أي في تبريز) إلى أن مات»[1] ، وذكره الخوانساري أن البيضاوي استعان بالشيخ العارف بالله خواجه محمد الكنجاني (كذا) في نجاح مقصده في القضاء ، فرفع الشيخ طلبه إلى الملك بقوله: «إن استدعائي من حضرة الملك في هذا الليلة أن يقطع قطعة من رباع جهنم لشخص كان يتوقعها من جنابك. . . ، فأجابه الملك إلى سؤاله من غير فتور. . . ، لكن القاضي المزبور لما سمع بكلام العارف المذكور مع حضرة السلطان المبرور ، وتأمل في حقيقته تنبه من مرقده ، وتندم على ما كان»[2] ، وهذان النصان يدلان على أن البيضاوي اعتزل القضاء بنفسه.

والظاهر الجمع بين الأمرين ، وأن البيضاوي عين قاضياً في البيضاء ، ثم قاضياً بشيراز ثم عزل ، فسعى إلى القضاء ، لما نقله حاجي خليفة عن التاج السبكي في «الطبقات الكبرى» «أن البيضاوي لما صرف عن قضاء شيراز رحل إلى تبريز ، وصادف دخوله مجلس درسه. . . ، وأخبر الوزير أنه جاء في طلب القضاء بشيراز فأكرمه ، وخلع عليه في يومه ، ورده ، وقد قضى حاجته»[3] ، كما ذكر الخوانساري عن تفسير البيضاوي أنه كان سبباً لتقربه من السلطان ، وطلب قضاء البيضاء ، كما سبق ، ولما عين

---

(١) كشف الظنون ١/ ١٦٢.

(٢) روضات الجنات ص ٤٥٥.

(٣) كشف الظنون ١/ ١٦٢ ، والجملة الأولى غير موجودة في الطبقات الكبرى للتاج السبكي المطبوعة الآن ، ولعلها سقطت من المخطوطة.

البيضاوي في قضاء شيراز ثانية ، أو في قضاء قضائها مكث مدة قصيرة ثم اعتزل بنفسه بسبب الظروف السياسية ، والاضطرابات الداخلية التي طرأت بعد سقوط بغداد ، وذلك أن أمير فارس الأتابك أبا بكر بن سعد بن زنكي حمى بلاده من شر المغول وخطرهم عند قدومهم ، بأسلوب سياسي حكيم ، وسالم المغول ، وبذل لهم الطاعة ، فسلم على مملكته ، وهيأ الأمن والرخاء فيها ، حتى مال إليه العلماء ومن فر من سائر البلاد ، واجتمعوا عنده ، ولما توفي أبو بكر بن سعد تغيرت حالة الدولة السلغرية ، وتبدل سعدها إلى نحس ، واستولى هولاكو على جميع إيران ، ونشر الرعب والخوف والاضطراب والفساد ، وعطل الأحكام ، فتخلى البيضاوي عن القضاء ، لشدته وحصره والتزامه بالشرع ، وردَّ المناصب التي كلف بها ، وذهب إلى تبريز ، وتفرغ للعلم ، وانزوى للتأليف والتدريس ، واعتكف على نشر العلوم ، ولازم شيخه الأثير[1] .

شيوخ البيضاوي وتلامذته :

إن الإنسان لا يولد عالماً ، وإنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، وكثيراً ما يتأثر الإنسان بوالديه ومربيه ، وأساتذته ومشايخه ، وقد يكون ثمرة من غراسهم ، ونبتة من بذورهم ، وصورة صادقة عن سعيهم ، ولذلك يتحمل الآباء مسؤولية تربية الأولاد ، وندب الشرع والعقل إلى اختيار المربين ، وانتقاء العلماء ، لتوجيه الأولاد وتعليمهم .

وذكرنا سابقاً أن المؤرخين أغفلوا ذكر شيوخ البيضاوي ، وسكتوا عن رحلاته في طلب العلم ، ولم يتركوا لنا إلا ما صرح به البيضاوي نفسه من تفقهه على والده عمر بن محمد بن علي البيضاوي ، الذي كان قاضي الممالك عند الدولة السلغرية في بلاد فارس[2] .

---

(١) انظر: التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان ص ١١٧ .

(٢) انظر: مرآة الجنان ٤/ ٢٢٠ ، والمرجع السابق ص ١١٦ .

وأشارت المراجع إلى أن البيضاوي كان متأثراً بالشيخ محمد بن محمد التحتائي الذي ساعده في تولي القضاء ـ كما قيل ـ وتأثر بأقواله ، وأن البيضاوي لازم هذا الشيخ بعد عزله عن القضاء ، وبقي معه في تبريز حتى مات ، وأن البيضاوي صنف كتابه التفسير بإشارة شيخه[١] .

وكما أن الإنسان يتأثر بأساتذته وشيوخه ، فإنه يؤثر في طلابه وتلامذته ، ليكونوا امتداداً علمياً له ، ونقلة لآرائه وعلمه ، ووسيلة لنشر كتبه ومصنفاته .

ولم يكن حظ تلاميذ البيضاوي أحسن حالاً من شيوخه ، فلم يذكرهم أحد ، إلا ما جاء في ثنايا الكتب وأسماء المؤلفين ، ومن شرح كتب البيضاوي ، فعلمنا اسم تلميذين للبيضاوي ، هما :

١ ـ أحمد بن الحسن ، الشيخ فخر الدين ، الإمام الجاربردي ، العالم الفاضل ، الدين الوقور ، الذي كان مواظباً على العلم ، وإفادة الطلبة ، أخذ عن القاضي البيضاوي ، وله شرح «المنهاج» في أصول الفقه ، و«شرح الحاوي الصغير» في الفقه ، و«شرح الشافية لابن الحاجب» في النحو ، و« حاشية على الكشاف» في التفسير ، مات في رمضان سنة ٧٤٦هـ بتبريز[٢] .

٢ ـ الشيخ زين الدين الهنكي ، تلميذ البيضاوي ، الذي صار شيخاً لعضد الدين الإيجي صاحب التصانيف المشهورة ، وقال طاش كبري زاده : «الهَبْكي»[٣] .

---

(١) انظر : كشف الظنون ١/ ١٦٢ .
(٢) انظر ترجمته في (طبقات الشافعية الكبرى ٨/٩ ، مفتاح السعادة ١/ ١٤٢ ، البدر الطالع ١/ ٤٧ ، الدرر الكامنة ١/ ١٣٢ ، طبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٣٩٤هـ.
(٣) انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٨/٩ ، مفتاح السعادة ١/ ٢١١ ، البدر الطالع ١/ ٣٢٦ ، الدرر الكامنة ٢/ ٤٢٩ .

وإننا لنقطع ونجزم أن تلاميذ البيضاوي كثر ، وأنهم كانوا نابغين ، ومتأثرين به ، بدليل: أنهم تلقوا كتبه ، ونقلوها ، وأشاعوها إلى الأقطار الإسلامية.

وفاة البيضاوي:

لما ترك البيضاوي القضاء بشيراز ارتحل إلى تبريز ، ولازم شيخه إلى أن مات ، وأقام البيضاوي بتبريز ينشر العلوم والمعارف ، ويصنف الكتب المفيدة ، والمصنفات المشهورة ، وأوصى قبل وفاته إلى قطب الدين الشيرازي (٧١٠هـ) أن يدفن عند قبر شيخه ، ولما مات دفن عند قبره في خرنداب تبريز على شرقي تربة الخواجة ضياء الدين يحيى[١].

واختلف المؤرخون في تاريخ وفاة البيضاوي على عدة أقوال ، ثلاثة منها مقبولة ، وتحتمل الصحة ، لأنها صدرت عن أعيان القرن الثامن الهجري ، وهم السبكي والصفدي والإسنوي واليافعي وابن كثير ، وكانوا قريبي العهد بالبيضاوي ، وكلهم توفي بعده بقليل ، وهناك عدة أقوال شاذة وغريبة ، سوف نشير إليها.

ذهب أكثر المؤرخين وكتب التراجم والرجال إلى أن البيضاوي توفي سنة (٦٨٥هـ ـ ١٢٨٦م) ، وهو ما اقتصر عليه أكثر المعاصرين ، اعتماداً على ما ذكره الصفدي بالسند ، قال: «قال لي الحافظ نجم الدين سعيد الدهلي الحنبلي الحريري: توفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وثمانين وستمئة بتبريز ، ودفن فيها»[٢] ، وتابع أكثر المؤلفين وأصحاب المصادر الصفدي في هذا التاريخ ، وهو قول ابن كثير[٣].

---

(١) انظر: كشف الظنون ١/١٦٢ ، روضات الجنات ص ٤٥٥ ، البداية والنهاية ١٣/٣٠٩.

(٢) الوافي بالوفيات ١٧/٣٧٩.

(٣) انظر: روضات الجنات ص ٤٥٥ ، البداية والنهاية ١٣/٣٠٩ ، شذرات الذهب =

أما السبكي فلم يذكر وفاة البيضاوي في «الطبقات الكبرى» وإنما ذكرها في «الطبقات الوسطى» وحددها سنة ٦٩١هـ ، وأيده الإسنوي في ذلك ، ونقل الكثيرون عنهما هذا التاريخ[١] .

وذهب اليافعي إلى تحديد الوفاة بسنة ٦٩٢هـ ، وقال به بعض العلماء[٢] .

أما الأقوال الشاذة فذكر بعضها حاجي خليفة ، فقال أحياناً توفي سنة ٦٨١هـ ، ولم يبين مصدراً لقوله ، ونقل في عدة أمكنة أنه توفي سنة ٦٨٥هـ ، وفي مكان ثالث جمع بين القولين ، فقال: إنه توفي سنة ٦٨٥هـ و٦٨٢هـ ، وفي مكان رابع قال: توفي سنة ٦٨٤هـ[٣] .

ونقل البغدادي أنه توفي سنة ٦٩٦هـ ولم يذكر مصدراً ، ولم يشاركه أحد ، ولعله تصحيف عن سنة ٦٩١هـ[٤] .

ونقل الخفاجي قولاً شاذاً آخر فقال: «والذي اعتمده وصححه المؤرخون في التواريخ الفارسية أنه توفي في شهر جمادى الأولى سنة ٧١٩هـ تقريباً ، ويشهد له ما في آخر تاريخ البيضاوي «نظام التواريخ» ،

= ٣٩٢/٥ ، نزهة الجليس ٨٧/٢ ، طبقات المفسرين ٢٤٣/١ ، مفتاح السعادة ١٠٤/٢ ، الأعلام ٢٤٨/٤ ، الفتح المبين ٨٨/٢ ، معجم المؤلفين ٩٧/٦ .

(١) طبقات الشافعية الكبرى ١٥٧/٨ والوسطى بهامشها ، طبقات الشافعية للإسنوي ٢٨٣/١ ، بغية الوعاة ٥١/٢ ، هدية العارفين ٤٦٣/١ ، معجم المؤلفين ٩٧/٦ .

(٢) انظر: مرآة الجنان ٢٢٠/٤ ، روضات الجنات ص ٤٥٥ ، معجم المؤلفين ٩٧/٦ .

(٣) انظر: كشف الظنون ١٠١/٢ ، ٤٤٢ ، ٥٣٨ ، ٥٥٤/٢ ، ١٦٢/١ ، ٦٠٤/٢ .

(٤) هدية العارفين ٤٦٣/١ .

وقال الخفاجي: وهو المعتمد» ، بينما قال عن القول الأول سنة ٦٨٥هـ: «هذا هو المشهور»[١].

ورد بروكلمان هذا القول الشاذ الأخير ، واستبعده ، قائلاً: «غير أنه ليس من المحتمل أن تكون وفاته قد تأخرت حتى ٧١٦هـ/ ١٣١٦م»[٢].

ورأى أن الراجح هو القول الأول الذي ذكره الصفدي بالسند ، وأيده ابن كثير لقرب العهد به ، وهو المشهور.

القسم الثاني
حياة البيضاوي العلمية

صنف البيضاوي رحمه الله تعالى كتباً كثيرة في موضوعات مختلفة ، كالفقه وأصول الفقه ، والتفسير والحديث ، والتوحيد أو علم الكلام أو أصول الدين ، والمنطق والجدل ، والعربية والتاريخ.

ورزق الله تعالى البيضاوي التوفيق في التأليف ، والنجاح في التصنيف ، والسداد في اختيار المعلومات ، والدقة في العلم ، وتفضل الله عليه بإقبال الناس على كتبه ، وانتشار مصنفاته ، وشيوعها في الأقطار ، وأخذ منها العلماء، وطلاب العلماء ، فانتسبوا إليه ، وتتلمذوا على كتبه ، فالعلم نسب بين أهله.

وإذا كانت كتب التراجم والتاريخ لم تسعفنا في معرفة تلاميذه بسبب الاضطراب السياسي والاجتماعي ، وفقدان الأمن والطمأنينة ، وتقطع أوصال البلاد الإسلامية ، وسيطرة الخوف والرعب على يد المغول ، فإن كتب البيضاوي كانت السفير الصادق ، والرسول الأمين ، والترجمان

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي ١/ ٤ ، نهاية السول ١/ج.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٤/ ٤١٨.